أسـاليب القـرآن الكـريم ومميـزاتهـا
(دراسـة مقـارنـة أدبيّـة)

Muhammad Rasyid Ridha

STAIN Datokarama Palu, Jl. Dipongoro 23 Palu
e-mail: muhammadrasyidridha@gmail.com

Abstract

Pada zaman jahiliyah, orang Arab senantiasa membangga-banggakan bahasanya dan berlomba-lomba memilih gaya bahasa dalam mengungkapkan kata-kata dan memperindah diksi dalam syair dan prosa mereka. Akan tetapi, ketika Alquran diturunkan, mereka tak mampu menemukan gaya bahasa seperti gaya bahasa Alquran dan memilih lafal sehalus lafal-lafal Alquran dan sesempurna makna dan maksudnya. Inilah yang mendorong kita untuk mengkaji dan membandingkan gaya bahasa Alquran dengan gaya bahasa yang dipakai dalam ungkapan-ungkapan Arab lainnya. Salah satu bukti bahwa gaya bahasa Alquran lebih tinggi nilainya dari ungkapan Arab lainnya adalah karena gaya bahasa Alquran dapat mencakup beberapa makna dan maksud.

In the period of *Jâhiliyyah*, the Arabs always felt proud of their language. They also competed with each other for selecting a particular literary style in expressing their words and beautifying dictions in their poetry and prose. However, when Alquran was revealed, they did not find such literary style as the Qur'an's. They chose words as refined and perfect as the Qur'an's. This is one of the driving reasons to study and compare the Qur'an's literary style and one which has been used so far in Arabic expressions. One of the factors might be that the Qur'an's literary style covers myriad of meanings.

Kata Kunci: Alquran*, uslub* bahasa Arab

مقدّمة

منذ خمسة عشر قرن ماضى جعل المسلمون القرآن الكريم دستورا فى حياتهم دنيويا كان ام اخرويّا وطريقة نمط فى معاملاتهم ومعاشراتهم اليوميّة مع بعضهم واعترفوا بأنّ القرآن كتاب مجيد لديهم لابدّ أن يمجّدوه ويكرّموه لعلوّ مكانه فى الإسلام . ولكن كان من الأسف أنّ فى عصرنا الحاضر يوجد كثير من المسلمين لا يفهمون التّوصيّات القرآنيّة ولا يعرفون التعاليم الألهيّة مع أنّه يطلب منهم ان ينشروا القيم القرآنيّة بتتطبيق تعاليمه بواسطة التفاسير المعتمدة على الأمور الواقعيّة فى مجتمعنا الأسلامى, ويطلب منهم أن يدافعوا هويّتهم طول الدهور (شهاب :١٩٩٠ :٩)

فى الحقيقة , لكلّ فرد من أفراد المسلمين المؤمنين مسئوليّة كبيرة فى تحقيق التعاليم القرآنيّة عملا بأمر الرسول صلّى الله عليه وسلّم كما جاء من أحاديثه حيث قال (بلّغوا عنّى ولو آية) وقال أيضا (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه).

معتمدا على البيانات السابقة, حاول الكاتب بأن يطالع ويدارس القرآن وخاصّة الأمور المتعلّقة باساليبه وحسن تعبيراته ثم يقارنه باساليب النصوص العربيّة الأخرى . وعسى ان تكون هذه الدراسة نافعة لجميع المسلمين .

الأسلوب, حدّه ووظيفته واهدافه

كلمة " أسلوب " جمعه " أساليب " كلمة وثيقة الصلة بتعبير إحدى اللغة سواء كان لسانيّا أو كتابة, وقد علمنا أنّ لكلّ اللغة معيار خاص فى التعبيرات كى تكون جذوبة عند سامعها وقارئها , وهذا المعيار التعبيري يسمّى بالأسلوب وتعريفه لغة الطريقة أو المذهب
(إبراهيم , د.س : ٤٤٣) والزرقانى (د.س.) عرّف الأسلوب بالطريقة الكلاميّة التى يسلكها المتكلّم فى تأليف كلامه واختيار الفاظه , او هو المذهب الكلامى الذى انفرد به المتكلم فى تأدية معانيه ومقاصده من كلامه او هو طابع الكلام او فنّه الذى انفرد به المتكلّم كذلك .

والأسلوب فى اللغة الأنجليزيّة يعرف ب *stylistic*

Manner of doing anything and to write in a delightful style, or to say something in sentences, or manner of articulation.

وفى اللغة العربيّة كان الأسلوب ينقسم الى ثلاثة اقسام وهى :

أوّلا : الأسلوب العام هو الأسلوب المستعمل فى التعبيرات اللغويّة اليوميّة إذ كانت الكلمات المعبّرة فيها لا تحتاج إلى التفكير العميق فى فهم توصيّاتها لأنّ كلماتها لا تختلط بالكلمات الغريبة ولا تدخلها العناصر الأدبيّة الفنّيّة والعناصر العلميّة . ومن مثال هذا الأسلوب هو قولنا (يجب على المسلمين أن

يتفقوا ويتناصحوا فى ظاهر الأمور وباطنها وأن يهتمّوا الأعتصام بدينهم الأسلام الحنيف).
ثانيا : الأسلوب العلمى هو الأسلوب المستعمل فى المباحث العلميّة. وقال على الجارمي (١٩٥١ :١٢) ما يأتى :
الأسلوب العلمى هو أهدأ الأساليب , وأكثرها احتياجا إلى المنطق السليم والفكر المستقيم , وابعدها عن الخيال الشعرى لأنّه يخاطب العقل ويناجى الفكر ويشرح الحقائق العلميّة التى لا تخلو من غموض وخفاء , ومميّزات هذا الأسلوب الوضوح , ولا بدّ أن يبدو فيه اثر القوة والجمال , وقوته فى سطوع بيانه ورصانه وحججه , وجماله فى سهولة عباراته , وسلامة الذوق فى اختيار كلماته وحسن تقريره المعنى والأفهام من أقرب وجوه الكلام .
ولنعلم ايضا أنّ الأسلوب العلمى يشتمل الكلمات الغريبة من الأصطلاحات العلمية التى يبحثها . فمن مثال هذا الأسلوب قولنا (ويحمل البروتون شحنة موجبة , وبالأتحاد البروتون والأنتيبروتون يفنى كل منهما الآخر كما يفنى البويترون والألكترون كل منهما الآخر) .
ثالثا : الأسلوب الأدبى هو اسلوب يشتمل التعبيرات الأمثاليّة الخياليّة مع صورة فكرية دقيقة ليكون جذابة فى نفس سامعه وقارئه, واختصّ باختيار الألفاظ الجميلة فى تعبيره (الجارمى , ١٩٥١). وقيل أنّ الأسلوب الأدبى والجمال أبرز صفاته واظهر مميزاته , ومنشأ جمله ما فيه من خيال رائع وتصوير دقيق , وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء, والباس المعنوى ثوب المحسوس واظهار المحسوس فى صورة المعنى .
ومن امثلة هذا الأسلوب قول الشاعر الآتى :

- بيديه للدّنيا كتاب خالد ومع الكتاب شريعة غراء
- شهدت به البلغاء فى اعجازه وتبارت الأدباء والشعرا ء
- وتطامنت هام الملوك وطأطأت لبيانه العلماء والحكماء
- وعجائب القرآن فى طول المدى لاتنقضى وجديده وضاء
- آياته حكم وهدى بيانه السحر الحلال وما لها نظر اء
- هو رحمة وسكينة وهداية هو للقلوب الموجعات شفاء
- تتطاول العظماء فى تكريمه وببابه تتصاغر العظماء (الصابونى ١٩٨٨:)

مميّزات اساليب القرآن الكريم

التّحدّث عن اساليب القرآن الكريم أمر صعب وواسع وعميق لوثيق صلتها بالعلوم العربية التى تشتمل اثنا عشرة علوما وهى النحو والصّرف والعروض والقافية واللغة والقرض والأنشاء والخطّ والبيان والمعانى والأشتقاق والأدب, ولكلّ من هذه العلوم مباحث واسعة كذلك . ولكن المباحث

التى سيقدّمها الكاتب فى هذه المقالة هى المسائل المتعلقة بعلم البلاغة وفروعه من علم البيان وعلم المعانى , وكذلك المسائل فى علم النحو او القواعد والمسائل فى علم العروض والقوافى .

وقبل أن شرح الكاتب مميّزات اساليب القرآن ومقارنتها بالتعبيرات العربية الأخرى عليه أن يقدّم اولا آراء العلماء واللغويّين الآتية :

- إبراهيم (د.س.) رأى أنّ من مميّزات أساليب القرآن كونها أساس علم اللغة وعلم البيان وقياس صحة التعبير اللغوى , بجانب ذلك , أنّها أحسن التعبيرات الكلامية ووجود اللذة الفنّيّة عند قراءتها وسماعها.
- ورأى سيد قطب (١٩٦٧) أنّ التعبيرات القرآنية أكمل التعبيرات اللغويّة لفظا أو معنى , وقال أنّنى لم أجد شيئا من النصوص الأدبيّة فى عصر الجاهليّة أيبلغ درجات حسن أساليب القرآن لفظا او تركيبا .
- وأمّا السّيوطى فيقول لاشكّ فى حسن التعبيرات القرآنية وصدقها لأنّها غير تابعة بحسن التعبيرات العربية الأخرى لأنها تعبيرات الهيّة تطمئنّ فيها القلوب وتقنع فيها الأنفس بأحكامها السليمة وامثالها العجيبة ومقاصدها المستقيمة, ومن قرأها مرّة أراد ان يقرأها مرارا .

واذا اردنا ان نرى مميّزات اساليب القرآن باكمل وجوه فعلينا ان نقارن بينها وبين اساليب التعبيرات العربيّة الأخرى بالنظر الى العلوم العربيّة الآتية :

ا – نظرة من جهة علم البلاغة

المباحث فى علم البلاغة مرتبطة بمباحث الأساليب أشدّ الأرتباط ولاسيّما إن تكلّمنا عن الأمر والنهى والأباحى والأستعارة والكناية والمجازى والجناسى . من أجل ذلك , على الكاتب بحث هذه الوجوه بكمال ما مع التفاصيل الآتية :

(١) الأمر : الأمر هو طلب الفعل من المخاطبين على وجه الأستعلاء , وكانت أساليب الأمر فى علم البلاغة أربعة انواع وهى : (١) إستعمال الفعل الأمر كقولنا (افعلوا الخيرات), (٢) إستعمال الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر كقولنا (ليعملوا عملا صلحا) ,(٣) إستعمال اسم الفعل الأمر كقولنا (عليكم بالتّقوى), (٤) إستعمال المصدر كما فى قولنا (سعيا بالخير) بينما كانت اساليب الأمر فى القرآن ثلاثة عشر وجه : (١) إستعمال اللفظ الأمر الصّريح كما فى سورة النساء : ٥٨ , (٢) إستعمال اللفظ " كتب " كما فى سورة البقرة :١٨٣ , (٣) إستعمال الخبر بكونه على الطبقة الخاصة من الناس كما فى سورة البقرة :١٨٤ , (٤) إستعمال الخبر بمطالبة الفعل من المخاطبة كما فى سورة البقرة :٢٢٨ , (٥) إستعمال الفعل المضارع المتصل بلام الأمر كما فى سورة الحج : ٢٩ , (٦) إستعمال الفعل الأمر كما فى سورة البقرة :٤٢ , (٧) استعمال

الخبر عن المبتدأ بطلب تحقيقه من غيره كما فى سورة آل عمران : ٩٧ , (٨) إستعمال جواب الشّرط كما فى سورة البقرة :٢٨٠ , (٩) استعمال المصدر بخبر أنّ فعل المطلوب خير كما فى سورة البقرة :٢٢٠ , (١٠) إستعمال اللفظ " فرض " كما فى سورة الأحزاب :٥٠ , (١١) إستعمال الخبر بذكر جزاء فعله وثوابه كما فى سورة البقرة :٢٤٥ , (١٢) استعمال اللفظ الأستفهامى كما فى سورة النحل :١٧ , (١٣) إستعمال الخبر بوصف سيّئ ترك فعله او عدم قبول فعله كما فى سورة المائدة : ٤٧ .

(٢) النّهي : النهي هو طلب التّرك والكفّ عن الفعل على وجه الأستعلاء . أسلوب النّهى فى علم البلاغة يستعمل نوعا واحدا وهو لام النّهى المقترنة بالفعل المضارع كما فى قولنا (لا تقم ولا تتكلّم) , وأمّا فى القرآن الكريم فيستعمل عدّة اساليب وهى : (١) إستعمال اللفظ النّهى الصّريح كما فى سورة النحل : ٩٠ , (٢) إستعمال اللفظ " حرّم " كما فى سورة الأعراف : ٣٣ , (٣) إستعمال الخبر بنفي الحلّ عن الشئ كما فى سورة النّساء : ١٩ , (٤) إستعمال حرف لام النهى المقترنة بالفعل المضارع كما فى سورة الأنعام :١٥٢ , (٥) إستعمال الخبر بوصف فعله أنّه ليس برّا كما فى سورة البقرة :١٧٧ , (٦) إستعمال الخبر بوصف أنّ فعله شرّ كما فى سورة آل عمران :١٨٠ , (٧) إستعمال الخبر بذكر أنّ عمله سيّئة كما فى سورة او اثم كما فى سورة البقرة :١٨١, (٨) إستعمال الخبر بذكر جزاء فعله او عقابه كما فى سورة التّوبة : ٣٤ , (٩) إستعمال الأسلوب الأنشائى بلفظ الأمر كما فى سورة الجمعة : ٩, (١٠) إستعمال نظم الأمر فى سلك ما هو بالغ الأثم والأخبار عن الفعل بأنّه رجس وأنّه من عمل الشيطان كما فى سورة المائدة : ٩٠- ٩١ .

(٣) الأباحى : الأباحى هو إمكان فعل الشّئ أو تركه . كان القرآن فى هذا الوجه يستعمل سبعة اساليب وهى : (١) إستعمال اللفظ الحلّ الصّريح كما فى سورة المائدة : ١ , (٢) إستعمال الفعل الأمر مع قرينة صارفة عن الطلب كما فى سورة الأعراف :٣١, (٣) إستعمال الخبر بنفى الأثم على فعله كما فى سورة البقرة :١٧٣ , (٤) إستعمال الخبر بنفى الحرج على فعله كما فى سورة النّور :٦١ , (٥) إستعمال الخبر بنفى الجناح على فعله مع ادّعاء فى حرمته كما فى سورة المائدة : ٩٣ , (٦) إستعمال الأنكار فى تحريمه بالصّورة ألأستفهاميّة كما فى سورة الأعراف :٣٣ , (٧) إستعمال الأمتنان بالشّئ ووصفه بأنّه رزق حسن كما فى سورة النحل :٦٧ .

(٤) الأستعارة : الأستعارة هى إستعمال الألفاظ فى غير ما وضع لها لعلاقة مشابهة فى المعنى المقصود . فى هذا الأسلوب قد اختار القرآن الألفاظ التى قربى معانى الألفاظ المبدّلة كما فى سورة الحجر :٩٤ قوله تعالى (.....فاصدع بما تؤمر .....) كلمة " إصدع " بدلا من كلمة " اجهر " , وهذا التّبديل غير لازمة فى علم البلاغة, وكذلك فى سورة المؤمنون :١٣ قوله تعالى

(.....وينـزل لكم من السّمـاء رزقـا.....) إذ كانت كلمـة " رزقـا " بدلا من كلمـة " مطـر " والذى ينـزل من السّمـاء هـو المطـر وليس الرّزق .

(٥) الكنـايـة : الكنـاية هـى إستعمـال الألفـاظ فى غيـر المعنى المقصـود . كان القرآن فى هذه الأسلوب يستعمل أدقّ الكلمـات وأحسنـه لفظـا كما فى سـورة الحجـرات :١٢ قوله تعـالـى (.... ولا يغتب بعضكم بعضـا ايحبّ أحدكم ان يأكل لحـم أخيـه ميتا فكرهتمـوه.....) , هـذه الآيـة كنـاية النّهـى عن الغيبـة والفتنـة .

(٦) المجـاز : المجـاز هـو إستعمـال الألفـاظ فى غيـر الأصطـلاحات المقصـودة كما فى سـورة نوح :٧ قوله تعالى (جعلوا اصـابعهم فى آذانهـم .....) حيث استعمـل كلمـة " اصـابع " ويقصـد فيـه كلمـة " أنامـل "

(٧) الجنـاسى : الجنـاسي هو استعمـال اللفظين المتسـاويين فى الجملـة مع اختـلاف معناهمـا كمـا فى سورة الرّم :٥٥ , قولـه تعـالى (....ويوم تقوم السّـاعـة يقسم المجرمون ما لبسوا غير ساعة .....) كلمـة السـاعة الأولى تكون بمعنى يوم القيـامـة , وامّـا كلمة السـاعـة الثانيـة فتكون بمعنى حيـاتنـا فى الـدّنيـا . (الجعلـى ,١٩٨٦)

٢ – نظـرة من جهـة علـم العـروض والقـوافـى

يوجـد فى علم العـروض والقوافى القواعـد والمـوازن فى تنظيـم الشعـر وإختيـار الألفـاظ فـى تنظيـم السّجـع . وكان القـرآن فى هذا الوجـه أوسع المـوازن وأحسـن الأطـراف, وسنـرى ذلك فـى فى البحث الآتى :

(١) فى الشعـر , يعـرف فى الشّعـر أوزان كمعيـار تنظيمه كبحـر الرّمـل المنظّـم بالأوزان الآتية :

فاعـلاتن فاعـلاتن فاعـلاتن فاعـلاتن فاعـلاتن فاعـلاتن , على أسـاس هـذه الأوزان ظنّ العـرب الجـاهـلى بأنّ قولـه تعـالى فى سورة سبـأ :١٣ (وجفـان كالجـواب وقـدور راسيـات .....) شعـر من بحـر الرّمل ولكن بعـد أن أوزن تلك الآية مخـالفـة بالأوزان السّـابق لأنّ كلمـة " وجفـان " تكون بوزن " فعـلاتن " و " كالجواب" بوزن " فعـلات " و " وقـدور" بوزن " فعـلاتن" و " راسيـات " بـوزن " فاعـلاتن

وكذلك فى بحـر المتقـارب بالأوزان : فعـولن فعـولن فعـولن فعـولن فعـولن فعـولن فعـولن فعـولن . فظـنّ العـرب بأنّ قولـه تعالى فى سـورة الطـلاق :٢٣ شعـر من بحـر المتقـارب , ولكن بعـد ان اوزن تلك الآيـة غيـر موافقـة بالأوزان المـذكورة , إذ كانت أوزان بحـر المتقـارب ثمـانيـة قطعـات وإذا قطعنـا الآيـة نقـول " ومن يت " بوزن " فعـولن " و " تق اللا " بوزن "فعـولن " و " ه يجعـل" بوزن " فعـولن " و " لـه مخ " بوزن " فعـولن " و "رجـا " بوزن " فعـو " و " ويرزق " بوزن "فعـولن " ه من حي " بوزن " فعـولن " و " ث لا يح " بوزن " فعـولن " و " تسب " بوزن " فعـو " بينمـا نحن لم نجـد وزن " فعـو " فى بحـر المتقـارب .

(٢) فى السّجع : القاعة فى تنظيم السّجع لا بدّ أن تكون الأطراف متجانسة كقولنا " جائع " و " نائع " (محمد بن طيّب , د.س.) , ولكنّ القرآن الكريم لم يوافق هذه القاعدة بل أوسع من ذلك كما قرأنا فى سورة طه :١-٥ قوله تعالى (طه , ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى , الاّ تذكرة لمن يخشى , تنزيلا ممّن خلق الأرض والسّموات العلى , الرّحمن على العرش استوى .) بينما كانت القاعدة فى السّجع أن تكون مولات الكلام على وزن واحد .

(٣) نظرة من جهة علم النحو أو القواعد

إن راقنا آيات القرآن مراقبة عميقة فلا بدّ أن نرى هناك مميّزات أساليبها باختلافها من القواعد النحويّة المعروفة عندنا , تعال نرى ذلك فى الوجوه الآتية :

(١) فى الصفة والموصوف , درسنا فى علم النحو أنّ الصّفة لابدّ ان تكون مناسبة بموصوفها فى جهة النكرة والمعرفة والتذكير والتّأنيث والأفراد والتثنية والجمع , ولكنّ القرآن الكريم لا يوافق تلك القاعدة بل يكون بأسلوبه الخاصّ كما فى سورة الأنبياء :٤٨ قوله تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) . قال بعض المفسّرين بالحقيقة كلمة (آتينا) تليه كلمة (الكتاب) أو (التّورات) كمفعول به لها ولكن تخذفان وصارت كلمة (الفرقان) و (ضياء) و (ذكرا) صفة من كلمة (التوراة) وعلى انّها مؤنّث وصفتها مذكر .

(٢) فى العاطف والمعطوف , يشترط فى العاطف والمعطوف أن يتوافقا بين الكلمتين ولكن القرآن لا يوافق تلك القاعدة كما فى سورة الضحى :٣ قوله تعالى (ما ودّعك ربّك وما قلى), هذه الآية تقول (وما قلى) ولا تقول (وما قليك) وعلى أنّ هذه الكلمة معطوف ب (ما ودّعك) .

(٣) فى الصلة والموصول , يعرف فى هذا الوجه أنّ الأسم الموصول لا يمكن أن يحذف فى الجملة ولكن ردّ القرآن ذلك فى سورة الأنبياء :٤٦ قوله تعالى (وقولوا آمنّا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم .....). فى قوله (وأنزل اليكم) كان الأسم الموصول محذوف ولا يقول (والذى أنزل اليكم) وعلى أنّه معطوف ب (بالذي أنزل إلينا) .

هكذا مميّزات أساليب القرآن التى يمكن أن يذكر الكاتب فى هذه المقالة البسيطة وهلمّ جرّا .

خاتمة

فى الحقيقة أنّ البحث فى مميّزات أساليب القرآن واسع وعميق لا يمكن أن نشرح هنا باكمل الوجوه , ولكن بعد أن ذكر الكاتب بعضها يمكن أن يجيب المسائل المتعلقة بمباحث هذه المقالة ويمكن الكاتب تقديم الخلاصات الآتية :

(١) آيات القرآن الكريم معجزة لغويّة الهيّة لا يمكن أن يقلّد ها الأنسان لعلوّ لغتها وحسن تعبيرها واختيار الفاظها فما من أحد يمكن أن يعبّر تعبيرا كدقة تعبير أساليب القرآن عربيّا كان أو عجميّا .
(٢) أساليب القرآن الكريم غير جارية على القوانين اللغويّة ولا قواعدها لأنّها اساليب من الجميل الذى يحبّ الجمال فأساليبه أحسن التراكيب وادق الأصطلاحات .
(٣) قد حفظ الله القرآن بقوله (إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون) فلا يدخله التّبديل ولا التّحريف من الأنس والجنّ .

المراجع

على الجارمى ومصطفى امين , ١٩٥١ , *البلاغة الواضحة* , مصر : دار المعارف .

السّيّد أحمد الهاشمى , ١٣٥٤ هـ , *القواعد الأساسيّة للغة العربيّة* , بيروت : دار الكتب العربيّة .

السّيوطى , جلال الدّين عبد الرّحمن ,١٩٥١ , *الأتقان فى علوم لقرآن* , مصر : مصطفى البابى الحلبى .

الصّابونى , محمّد ضياء الدّين , د.س. , *الوفاء الرّبيع* , مكة المكرّمة : اخبار العلم الأسلامى .

ابو بكر , محمّد بن طيّب , *إعجاز القرآن* , قاهرة : مكتبة دار المعارف .

AS. Hornby & Christina Rose. 1988. *Oxford Student University,* Oxford: Oxford University Press.

منير سلطان , دكتور , ١٩٨٣ , *الفصل والوصل فى القرآن* , قاهرة : دار الكتب العربية .

محمّد متولى الشّعروى , ١٩٧٥ , *القضاء والقدر* , قاهرة : دار الكتب العربيّة .

محمّد سغينا ,١٩٨٥ , مذكرة *العروض والقوافى* , مكسار : البركة .

Syihab, Umar. 1990. *Al-Qur'an dan Rekayasa Sosial.* Jakarta: Pustaka Kartini.